

العنوان: النهضة النجدية الثانية

المصدر: الدرعية

الناشر: الشيخ ابو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري

المؤلف الرئيسي: الوزان، خالد بن على

مؤلفين آخرين: البسيمي، عبدالله بن بسام بن عبداللهـ(م. مشارك)

المجلد/العدد: مج 9, ع 36

محكمة: نعم

التاريخ الميلادي: 2007

الشهر: يناير

الصفحات: 41 - 78

رقم MD: 153199

نوع المحتوى: بحوث ومقالات

قواعد المعلومات: HumanIndex

مواضيع: الفتوحات الاسلامية، تاريخ السعودية، بلاد نجد، الدولة السعودية، هجرات قبائل نجد، العراق، الدولة العباسية، حكم الأخيضريين، القرن الثامن الهجري، الأوقاف، القرن العاشر الهجري، الفوضى، الأحساء ، الشام، مصر، الدولة القرمطية، النهضة النجدية الثانية، انتشار العلم، نسخ الكتب، العلماء المسلمون، الحياة الثقافية، بناء المدن

رابط: http://search.mandumah.com/Record/153199

النهضة النجدية الثانية

الأستاذ الدكتور: خـالد بن علي الـوزان*

* بكالوريوس طب وجراحة الأسنان - كلية الطب - جامعة الملك سعود. ١٤٠٨هـ.
- ماجستير في العلوم من كلية الدراسات العليا جامعة مركيت - ملواكي بأمريكا. ١٤١٣هـ.
- عمل أستاذاً مشاركاً في قسم علوم الاستعاضة السنية - كلية طب الأسنان جامعة الملك سعود.
عمل عضواً في عدد من المجالس العلمية.

الأستاذ: عبدالله ابن بسام البسيمي**

* باحث ومؤلف. له اهتمام بتاريخ منطقة الوشم ونجد عامة، ويعمل على إنجاز عدد من الكتب والأبحاث الوثائقية عن أشيقر منها: كتاب (العلماء والكتّاب في أشيقر خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين).

المقدمة:

لقد عاشت منطقة نجد بأقاليمها المتعددة قروناً تكاد تكون مجهولة في نظر المؤرخين نظراً؛ لشح المعلومات المدونة عن تلك الفترات، وربما انعدامها .. فبينما نجد نتفاً إخبارية في الفترة التي سبقت قيام الدولة السعودية الأولى عام ١١٥٧هـ، فإن أكثر الفترات جدباً تلك الواقعة قبيل اضمحلال حكم الأخيضريين(١) ومطلع القرن الثامن الهجري، بل حتى أثناء حكم الأخيضريين كانت

(١) الدولة الأخيضرية: دولة شيعية . تأسست في اليمامة منتصف القرن الثالث على يد محمد (الأخيضر) بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وكانت قاعدتها الخِضْرِمَة أسفل وادي الخرج، وقد سقطت إثر القضاء على دولة القرامطة في البحرين (المنطقة الشرقية) على يد العيونيين سنة ٤٦٩هـ. راجع: **مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية**، ع٦، ١٣٩٦هـ، ص ٤٥٩-٤٦٦، و**مجلة التاريخ العربي**، ع٣٠، ربيع ١٤٢٥هـ، ص ١٩٩-٢٣٥، و(**مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ**: ٥١-٥٧)، (**ديوان ابن المقرب العيوني وشرحه**: ١/٧): تحقيق: د.أحمد موسى الخطيب، و(**تاريخ ابن خلدون**: ٤/١٢٦)، و(**صبح الأعشى في صناعة الإنشا**: ٥/٥٧).

المعلومات عن نجد شحيحة جداً. فشكّلت تلك الفترة حلقة مفقودة قطعت سلسلة كثير من المعلومات. وسنطلق عليها افتراضاً (القرون المجهولة).. فمع بداية محاولات التدوين النجدي التاريخي في القرن الحادي عشر الهجري(١)، وتطوره فيما بعد وجدنا أن معلومات كثيرة أصبحت مبتورة، منفصلة عن جذورها، مما يخل بفهم الصورة المتكاملة عنها، فالأوضاع السياسية، وحركة القبائل وتنقلاتها، والأنساب خير أمثلة على ذلك.

فيمكن من خلال ما رصد من أحداث عن الأوضاع السياسية قبل القرون المجهولة وبعدها رسم صورة لا بأس بها؛ إلا أن انعدام الأخبار عن تلك الفترة تجعل سلسلة التطور السياسي والاجتماعي غير كاملة. وأما حركة القبائل، فبينما نراها في أماكن معينة قبل تلك الفترة، نجدها في أماكن أخرى لم تكن فيها سابقاً، وحلت في أماكنها قبائل أخرى، دون أي معلومات عن تاريخ أو سبب النزوح والهجرة. وأما الأنساب فالإشكال فيه أوضح من أن يُبيَن؛ فصلة القبائل الحديثة بجذورها شبه مقطوعة.

لقد حاول بعض المهتمين تلمس الأسباب في شح المعلومات التاريخية(٢)؛ إلا أن ما ذكروه من أسباب وإن كانت تصلح لتفسر شح أو ضعف المعلومات التاريخية؛ إلا أنها ليست مقنعة تماماً؛ لتفسر انعدام المعلومات عن القرون المجهولة.

---

(١) أول محاولة للتدوين التاريخي وصلت إلينا هي ما دونه الشيخ أحمد بن محمد بن بسام (ت ١٠٤٠هـ) وأول سنة أرخ لها كانت عام ١٠١٥هـ، (**تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد**: ٢٦). علماً بأن الشيخين إبراهيم بن عيسى وعبد الله بن محمد البسام ينقلان أحداثاً نجدية منذ سنة ٨٥٠هـ غير موجودة في التواريخ النجدية الأخرى، دون أن يحيلا إلى مصدر لهذه المعلومات، انظر: **مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية**، ع٣٦، ١٤٢٢هـ، ص٢٢٩-٤١٩، و(**تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق**).

(٢) انظر: **مجلة العرب**، س ٥، ١٣٩١هـ، ص٧٨٦، ومقدمة محقق (**تاريخ الفاخري**: ٣١-٣٤).

وفي نظرنا أن انعدام التدوين في تلك الفترة قد يرجع لسبب رئيس وهو أنه لم توجد حضارة ذات بال في منطقة نجد إبان القرون المجهولة، وبالتالي لم يوجد من لديه القدرة من أهل المنطقة على تدوين الأحداث النجدية، كما لم توجد أحداث نجدية مؤثرة تستحق التدوين من مهتمين من خارج المنطقة. ثم إن المظاهر الحضارية في نجد بدأت بالظهور في القرن الثامن الهجري، مما آذن بقيام حضارة بالمنطقة أخذت بالنمو شيئاً فشيئاً بشكل بطيء بسبب ضعف مقومات المنطقة الحضارية[١].

وعليه، فيمكن القول: إن قيام الحضارة في نجد تكرر مرتين، الأولى: منذ نشأة المستوطنات الحضرية في العهد الجاهلي مروراً بالعصور الإسلامية إلى بداية الفترة المجهولة[٢]، والثانية: ما بعد القرون المجهولة، حيث دبت الحياة في نجد من جديد.

أسباب اندثار النهضة النجدية الأولى:

لو سلمنا أن نجداً كانت خالية من الحضارة إبان القرون المجهولة، وبالتالي انعدمت المعلومات التاريخية، وأن مظاهر الحضارة برزت في القرن الثامن ثم تطورت بطيئاً، فما أسباب ذلك؟

في نظرنا أن هناك سببين رئيسين محتملين لعدم قيام حضارة نجدية إبان القرون المجهولة، تُبرز دورهما دلائل وإشارات عدة. ولعلنا قبل أن ندخل في تفاصيل ذكر الأسباب نعرض مقدمات جعلت الآثار المترتبة على هذين السببين ذات طابع قوي.

(١) نقصد بالحضارة: مظاهر الاستقرار في المنطقة والنمو العمراني والسكاني وما ترتب عليه من التفاعل الاجتماعي والعلمي والاقتصادي وغيرها من مظاهر الحضارة، ولا يعني ذلك بالضرورة قيام دولة ذات نظام واضح.

(١) أفضل من درس جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد حتى نهاية القرن الثالث الهجري الدكتور صالح بن سليمان الوشمي في كتابه القيم: **(ولاية اليمامة)**. كما أشار الجغرافيون من أهل القرنين الثالث والرابع الهجريين إلى الكثير من المستوطنات النجدية التي كان لبعضها أثر سياسي واقتصادي بارز.

توطئة:

إن طبيعة الأحداث التي مرت بالمنطقة منذ الفتوحات الإسلامية وحتى منتصف القرن الثالث الهجري أوهنت الحواضر النجدية، مما سهل قيام الدولة الأخيضرية بعد ذلك. لقد أصاب الحواضر النجدية ضعف كبير بعد انضواء أفرادها في صفوف الجيوش الإسلامية للجهاد في سبيل الله، والانطلاق نحو عمارة الأراضي المفتوحة .. ففي زمن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ارتحل بأمر منه إلى العراق نحو ثمانين ألفاً من نجد بأهاليهم ليعمروه، فخربت منازلهم في نجد[١]، وفي عام ٩٦هـ كان مقاتلة بني بكر من أهل البصرة وحدها ٧٠٠٠ مقاتل وتميم ١٠,٠٠٠ وعبد القيس ٤٠٠٠ [٢]، فهذه الأرقام تعطي مؤشراً جيداً عن حجم الهجرات الكبير من نجد باتجاه العراق، وهجرة العناصر الفاعلة من أهل المنطقة. ومما شجع على استمرار الهجرات من نجد بعد ذلك باتجاه العراق والشام المخصصات المرتبة للجند من قبل الخلافة الإسلامية، كما نلحظ أن ذكر بني تميم وبني أسد على سبيل المثال ورد عدة مرات في مرويات الطبري عن ثورة الزنج في البصرة سنة ٢٥٥هـ[٣]، مما يشير إلى تتابع الهجرات منذ الفتوحات الإسلامية إلى هذا الوقت. فهذا مما لا شك فيه أضعف الحواضر النجدية، مما جعلها عرضة لعدوان المعتدين.

كما أن تمرد البادية على الدولة العباسية في الحجاز ونجد خلال النصف الأول من القرن الثالث الهجري أخلّ بالحواضر النجدية وأضعفها أيضاً، فكانت

---

(١) راجع **تاريخ ابن ضويان**: ٣٥، و**معجم بلاد القصيم**: ٤/١٧٦٣.

(٢) راجع **تاريخ الطبري**: ٤/٣٧.

(٣) راجع **تاريخ الطبري**: ٥/٤٤٢، و٤٨٣-٤٨٥.

تحركات بني كلاب في عالية نجد .. بينما بنو نمير في الوشم وما يليه من بلاد اليمامة[١]، ولذا ففي عام ٢٣٢هـ ذهب عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير الخَطَفى من بني يربوع من سكان الوشم[٢] لزيارة الخليفة العباسي الواثق وامتدحه بقصيدة ثم أخبره بإفساد بني نمير في المنطقة، ولذا أرسل الواثق جيشاً كبيراً بقيادة بغا الكبير الذي أدّب تلك القبائل وقتل منهم وأسر[٣].

ومما أضعف نجداً أيضاً تهميش الدولة العباسية لها بسبب فقرها المادي ولانشغال الدولة العباسية بمشكلاتها الداخلية والخارجية[٤]، ولذا سيطر عدد من الدويلات المنشقة عن دولة الخلافة على المنطقة دون أن تحرك الأخيرة ساكناً كالقرامطة والأخيضريين. كل ذلك أضعف مقومات المنطقة، مما أدخلها في فوضى قبيل القرون المجهولة.

وبعد هذه التوطئة لعلنا نعرض السببين المحتملين لعدم قيام نهضة نجدية إبان القرون المجهولة:

---

(١) **مجلة كلية اللغة العربية**، ع٦، ١٣٩٦هـ، ص ٤٥٩-٤٦٦ . **مجلة التاريخ العربي**، ع٣٠، ١٤٢٥هـ، ص ١٩٩-٣٥.

(٢) ذكر ياقوت نقلاً عن الحفصي أن عمارة من أهل أثيفية (أثيثية) في الوشم. **معجم البلدان**: ٩٣/١.

(٣) **تاريخ الطبري**: ٢٨٨/٥.

(٤) **مجلة التاريخ العربي**، ع٣٠، ١٤٢٥هـ، ص ١٩٩-٣٥ . فالدولة العباسية قد أباحت الأحماء في ولاية الخليفة المهدي (١٦٩هـ) . **التعليقات والنوادر عن أبي علي هارون بن زكريا الهجري: دراسة ومختارات**: ١٤٠٢/٣-١٤٠٣هـ، مما أدخل القبائل في فوضى من أجل الاستئثار بأكبر مساحة ممكنة منها، وتُركت البوادي تتصارع في غياب الحكومة المركزية مثل ما حصل في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد (ت ١٩٣هـ) من القتال بين أبناء العمومة بني ضبة وبني حنظلة والمعروف بيوم الصريف . **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**: ٢١٩/٢. للوقوف على النزاعات على المراعي والموارد المائية في المنطقة، انظر : **ولاية اليمامة**: ٥٠.

السبب الأول:

أن المجتمع النجدي خلال تلك القرون كان مجتمعاً يفتقد الأمن والاستقرار السياسي والاقتصادي، أقرب إلى البداوة بالرغم من وجود بعض المجتمعات المدنية، وأن أغلب سكان المنطقة يمارسون حياة البداوة فعلاً، والتي تعتمد على الرعي حرفة رئيسة، وبالتالي التنقل المستمر؛ لتتبع المراعي وموارد الماء. ومثل هذه الحياة لا تسمح بقيام حركة علمية؛ فضلاً عن إنشاء مؤسسات تعليمية؛ فذلك يتطلب بالدرجة الأولى حياة مدنية آمنة مستقرة اقتصادياً وسياسياً. ومن يتوجه لطلب العلم منهم لا يجده إلا في الحواضر الإسلامية خارج نجد كدمشق والبصرة وغيرهما، وغالباً ما يطيب له المقام ولا يرجع إلى حياة الشظف والخوف.

قال محمد بن أحمد الأزهري (ت ٣٧٠هـ): «وكنت امتحنت بالإسار سنة عارضتِ القرامطة الحاج بالهبير، وكان القوم الذين وقعت في سهمهم عرباً عامتهم من هوازن واختلط بهم أصرام من تميم وأسد، نشأوا في البادية يتبعون مساقط الغيث أيام النجع، ويرجعون إلى أعداد المياه، ويرعون النعم ويعيشون بألبانها ... فبقيت في إسارهم دهراً طويلاً، وكنا نشتي الدهناء، ونرتبع الصمان، ونتقيظ الستارين»(١). ويصف ناصر خسرو حال مدينة فلج (الأفلاج) التي وصلها في ٤٤٣/٢/٢٣هـ في رحلة عودته من الحج فقال: «وهي ناحية كبيرة، ولكنها خربت بالتعصب. وكان العمران حين زرناها قاصراً على نصف فرسخ في ميل عرضاً. وفي هذه المسافة أربع عشرة قلعة للصوص والمفسدين والجهلة. وهي مقسمة بين فريقين بينهما خصومة وعداوة دائمة ... والسكان هناك فقراء جداً وبؤساء، ومع فقرهم فإنهم كل يوم في حرب وعداء وسفك دماء ... وقد لبثت بفلج هذه أربعة أشهر في

(١) **تهذيب اللغة:** ٨/١.

حالة ليس أصعب منها. ولم يكن معي من شؤون الدنيا سوى سلتين من الكتب، والناس جياع وعراة وجهلاء، ويلتزمون حمل الترس والسيف إذا ذهبوا للصلاة، ولا يشترون الكتب»[1]، وقال: «فقد أتى وأنا هناك جيش من العرب وطلب منهم خمسمائة منّ تمراً فلم يقبلوا وحاربوا، وقتل من أهل القلعة عشرة رجال، وقلعت ألف نخلة، ولم يعطوهم عشرة أمنان تمراً ... ولم يكن لدينا أمل في الحياة ولم نكن نستطيع أن نتصور خروجنا من هذه البادية، إذ كان ينبغي للخروج منها عن أي طريق اجتياز مائتي فرسخ من الصحراء، كلها مخاوف ومهالك. ولم أر في الأشهر الأربعة التي أقمتها بفلج خمسة أمنان من القمح في أي مكان»[2]. هذه كانت حال الأفلاج قبيل سقوط الدولة الأخيضرية، وهي مثال لبقية بلدان نجد والله أعلم .. انعدام الأمن، وحالة اقتصادية سيئة، فأي حركة علمية يمكن أن يقوم بها هؤلاء يكون نتاجها من يهتم بتسجيل الأحداث والمعلومات في ذلك العصر. نعم ناصر خسرو وصف اليمامة وقد بدت أحسن حالا، لكن علينا أن لا ننسى أن وصفه يدل أيضاً على أن الدولة الأخيضرية لا تزال متمكنة إلى التاريخ الذي دخل فيه خسرو اليمامة، ولا نشك أن حال بلدة اليمامة بعد سقوط الدولة الأخيضرية ليس بأحسن حال من بقية بلدان نجد، بدليل عدم قيام قائمة لها بعد سقوط الأخيضريين. وأما أعراب نجد فيصفهم خسرو بأنهم يعيشون على السلب، وأخذ الإتاوات ممن يمر في مناطقهم، وأنهم في حرب دائمة بعضهم مع بعض[3].

ولذا لا يُستغرب أن تنقطع السُبل المارة من خلال نجد باتجاه الأحساء

(١) **سفر نامة**: ١٣٩-١٤٠.

(٢) المرجع السابق: ١٤٠-١٤١.

(٣) المرجع السابق: ١٣٨-١٣٩.

والعراق إبان القرون المجهولة بسبب اضطراب الأمن ومخاوف الطريق، ومن ذلك ما ذكره المؤرخ اليمني يحيى بن الحسين (ت ١١٠٠هـ) أنه في سنة ٥٢٤هـ انقطعت الطرق من اليمن إلى العراق أمام مرور التجارة والقوافل الكبار التي كانت تسلك اليمامة والأحساء[١]. وبعد اعتراض الحاج العراقي من قبل بعض القبائل في سنة ٥٨٨هـ تقريباً، نهض أمير الأحساء محمد بن أحمد العيوني بطلب من الخليفة العباسي لتأديب تلك القبائل، فنجح في ذلك بعد موقعة عظيمة، فأمنت السبل في عهده[٢]؛ إلا أن ذلك كان بشكل مؤقت فبعد مقتله سنة ٦٠٣هـ عاد الصراع بين أمراء العيونيين[٣]، وبالتالي من المتوقع أن تعود القبائل إلى عاداتها السابقة. ولذا سيطر بنو كلاب على اليمامة إلى أن تغلب عليها العصفوريون في ٦٥٠هـ[٤]. ومن المتوقع أن سيطرة العصفوريين على نجد لم تكن بأحسن حال من سيطرة العيونيين، ولذا لا تسعفنا المصادر بأي معلومات عن صور تلك السيطرة على نجد.

وقد أفرد ابن فضل الله العمري (ت ٧٤٩هـ) صفحات تحدث فيها عن عرب العارض[٥]، الذين كان عدد منهم تصل تنقلاتهم إلى الشام، حيث يفدون إلى عربها[٦]، وذلك عادة لهم كما يفهم من كلام العمري.

إنه من المتوقع أن تلك البوادي عاشت متصارعة فيما بينها من جهة، وفيما بينها وبين الحواضر من جهة أخرى، فدوّامة التناحر بين تلك الكيانات لم تتوقف

(١) **غاية الأماني في أخبار القطر اليماني**: ٢٩٢/١.

(٢) **ديوان ابن المقرب**: ٩٥٤/٢ وما قبلها، و**الكتاب السنوي الأول**: ٤١-٧٢.

(٣) **الكتاب السنوي الأول**: ٦٢.

(٤) **تاريخ ابن خلدون**: ٣٧٤/٢، و١٦/٦.

(٥) **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**: ٣-١٤٩/٤-١٥٤.

(٦) المرجع السابق: ١١٢.

إلى أن قامت في نجد حكومة مركزية تمثلت بقيام الدولة السعودية الأولى. ولعلنا نطرح هنا تصوراً قد يستحق التأمل وهو أن الضغط الذي واجهته الحواضر النجدية قبيل القرون المجهولة من بني الأخيضر من جهة والبوادي من جهة أخرى حدا بمن لم يهاجر من بلده إلى العودة إلى حياة البداوة مرة أخرى، ولذا بعد استقرار الأوضاع في نجد مرة أخرى استقرت أفخاذ متعددة من القبائل في مناطق لم تكن معهودة لها في السابق، وفي المقابل اختفت تلك القبائل التي كانت لها سيطرة على الأماكن نفسها، ولعل ما يقوي هذه النظرة هو نزعة القبائل المختلفة في فترة القرون المجهولة إلى التحالف فيما بينها، مما نتج عنه ظهور مسميات لقبائل جديدة تكونت من تكتلات بقايا القبائل القديمة، وذلك بعد عودة الحياة إلى نجد من جديد.

إن ثقافة الرواية الشفوية مرتبطة بحياة البداوة وانتشار الأمية، فالمعلومات أياً كانت طبيعتها تنتقل من الجيل السابق إلى اللاحق عن طريق المشافهة لا التدوين، والمعلومات التاريخية ليست بدعاً من ذلك، فسرعان ما تنسى مع تقدم الزمن، وما يبقى منها يدخله التحريف والإضافة حتى تصبح أساطير يصعب تصديقها، وربما غرابة القصة هو ما يجعل عمرها يطول، وربما أضيف إليها ما يزيدها غرابة مع الزمن، وتغريبة بني هلال فيها مما ذكرنا الشيء الكثير.

وما نذكره هنا بشأن الرواية الشفهية ليس سمة بارزة للقرون المجهولة دون ما سبقها من القرون، بل إن هذا منطبق على المنطقة منذ سكنها العرب وحتى القرن الثامن الهجري.. وما وصلنا من تدوينات عن المنطقة قبل القرون المجهولة هو بفضل مهتمين من خارج المنطقة تلقفوا المعلومات من أعراب نجد فدونوها. إما لأثرها السياسي على الأمة الإسلامية عموما، كحروب الردة، وأخبار الأخيضريين، والتعرض للحاج... الخ، أو لكونها معلومات تهم باحثاً متخصصاً قام بتدوينها، كاللغة

والشعر والأنساب .. والهجري في نوادره خير مثال على ذلك. ولذا لا يذكر كتاب ألفه نجدي من بداية التدوين إلى القرن العاشر الهجري[١]، اللهم إلا ما نقله ياقوت الحموي في ثنايا كتابه "معجم البلدان" عن محمد بن إدريس بن أبي حفصة الذي ذكر ياقوت بأن له كتاباً سماه "مناهل العرب"[٢].

السبب الثاني:

إن نجداً كادت تندثر حاضرتها إبان القرون المجهولة، وربا سبب ذلك الهجرات المتتابعة لأهل نجد إلى الأحساء والعراق والشام ومصر، فخلت المنطقة من العناصر الفاعلة التي تستطيع الاضطلاع بالدور الحضاري، ولذا وجدنا: أن الكثير من بلدان نجد صارت خاوية من أهلها وخربت، ولذا عندما ذكر الحازمي (ت ٥٨٤هـ) أنساب العرب في زمانه ذكر أماكن وجودهم، والملفت للنظر أن معظم من ذكرهم أكثرهم موجود في الكوفة والبصرة[٣]، مما يشير إلى تركهم لمواطنهم الأصلية في نجد. وهناك إشارات تدل على أن بعض القبائل النجدية قد توجه جنوباً أيضاً، فقد أشار شرف البركاتي (ت ١٣٥٨هـ) مثلا إلى وجود أعداد كبيرة من بني تميم، مرّ عليهم في عدة مواضع خلال طريق رحلته من مكة إلى أبها سنة ١٣٢٩هـ[٤].

وأما أسباب تلك الهجرات فربما يرجع إلى أمور عدة منها:

١ - عنف الدولة الأخيضرية والقرمطية مع سكان المنطقة، مما حدا بهم إلى هجر

---

(١) أول من ذكر من النجديين في تأليف الكتب حسب علمنا هو الشيخ أحمد بن يحيى بن عطوة (ت ٩٤٨هـ)، راجع **علماء نجد خلال ثمانية قرون**: ١/ ٥٥١.

(٢) **معجم البلدان**: ١/ ١١، والحفصي ممن عاش في القرن الثالث الهجري، راجع **مجلة العرب**، س١، ١٣٨٧هـ، ص ٦٧٣.

(٣) راجع العديد من المواضع في **عجالة المبتدي وفضالة المنتهي في النسب**.

(٤) راجع العديد من المواضع في **الرحلة اليمانية**.

بلدهم إلى بلاد أكثر أمناً[1]. وعلى الرغم من أن المصادر التاريخية لم تسعفنا للوقوف على كيفية سيطرة الأخيضريين على اليمامة ؛إلا أنه من المتوقع أن بني الأخيضر قد استعانوا ببعض البوادي لمحاصرة الحواضر النجدية والسيطرة عليها؛ تلك البوادي التي ربما وجدت في مساندة بني الأخيضر فرصة سانحة للانتقام من الدولة العباسية التي تلقت منها ضربات موجعة[2]. فقد قال ابن حوقل عن اليمامة: «وكانت قراراً لربيعة ومضر، فلما نزل عليها بنو الأخيضر جلت العرب منها إلى جزيرة مصر، فسكنوا بين النيل وبحر القُلزُم وقرّت ربيعة ومضر هناك، وصارت لهم ولتميم كالدار التي لم يزالوا بها»[3]، وذكر أن المهاجرين من نجد بسبب جور بني الأخيضر يعدون بالآلاف الكثيرة[4]. وعن جزيرة أوال (البحرين الآن) قال البكري (ت ٤٨٧هـ): «وأكثر أهلها من أهل اليمامة، وإليها لجأ من أفلت من أهل هجر عند محنتهم مع القرمطي لعنه الله، وإليها فرّ منه أهل اليمامة والبحرين»[5]. وقد ذكر المسعودي (ت ٣٤٦هـ) أن القرامطة أبادوا أهل يبرين سنة ٢٨٧هـ، ثم قال: «وكانت من أطيب بلاد الله وأكثرها أهلاً وعمائر ونخلاً وشجراً، فلا أنيس بها إلى هذا الوقت»[6]. وقال

(١) راجع **معجم اليمامة**: ٤١/١، **ونجد قبل ٢٥٠ سنة**: ٩-١١.

(٢) راجع **مجلة التاريخ العربي**، ع٣٠، ١٤٢٥هـ، ص ١٩٩- ٣٥ .

(٣) **صورة الأرض**: ٣٨. وقد قام القرامطة بسبي نساء من اليمامة **مجلة التاريخ العربي**، ع٣٠، ١٤٢٥هـ، ص٢١٨. وذكر أسامة بن منقذ (ت ٥٨٤هـ) قصة قد يفهم منها سيطرة القرامطة على ضرية وسبيهم لنساء من أهل اليمامة، راجع **المنازل والديار**: ٢٢٧.

(٤) **صورة الأرض**: ٥٨.

(٥) **المسالك والممالك**: ٢٨٦/١.

(٦) **التنبيه والإشراف**: ٣٥٧.

ياقوت الحموي: «وقال ابن سيرين في تاريخه: وفيها يعني في سنة ٣١٠هـ انتقل أهل قرّان[1] من اليمامة إلى البصرة لحيف لحقهم من ابن الأخيضر في مقاسماتهم وجدب أرضهم»[2]. لقد استعملت تلك الدولة أساليب الإبادة والملاحقة وغيرها من الأساليب البشعة؛ لنشر التشيع في المنطقة، فليس هناك إلا أن تتبع مذهبهم أو الهجرة أو الموت. لقد نتج عن ذلك خلو المنطقة من العناصر الفاعلة من علماء ونبهاء ممن يستطيع القيام بالدور الحضاري في المنطقة فيما بعد، ولذا ربما لم يوجد في نجد بعد سقوط الدولة الأخيضرية من يقيم الحضارة من جديد، فمضت قرون حتى استطاعت نجد استرداد عافيتها شيئاً فشيئاً. ومع أن الإنسان هو الذي يصنع الحضارات؛ إلا أنه بدون توافر مقومات الحضارة، فإنه يبقى عاجزاً عن صنعها، ومن أهم مقومات الحضارة الأمن، وبدونه لا توجد حضارة. ومقوم للحضارة آخر، لم توفره الدولة الأخيضرية، واحتاجت نجد بتقدير الله زمناً حتى توفره وهو العلم.

٢ - ومن الأسباب المحتملة للهجرات هو أنه بعد الحروب الصليبية والحروب مع التتار لم يوجد بتقدير الله سبحانه دولة إسلامية قوية تفرض نفوذها على المنطقة الإسلامية، وتؤدب من يخرج عن الطاعة، فربما ازدادت مطامع البادية فطفقوا يقطعون السبيل ويهاجمون البلدان ويعيثون في الأرض فساداً، مما هو من عادة البوادي في كل عصر ومصر، فخربت القرى وجلا أهلها، وهجرت المزارع والبساتين. لقد حدث مثل هذا كما يصف بعض المؤرخين في الشام[3]،

(١) ووادي قران: هو المعروف الآن باسم الشعيب ويشمل بلداناً عدة هي: حريملا، والقرينة، وملهم.

(٢) **معجم البلدان**: ٤/٣١٩.

(٣) انظر : (**عشائر الشام**:١٠٢.

فكيف بمنطقة نجد. التي لم تأخذ حظها من الاهتمام من يوم أن أعرض عنها العباسيون. ولم يخضع بادية نجد لشرع الله ويكف أذاها عن البلاد والعباد بفضل الله إلا قيام الدولة السعودية الأولى المباركة.

٣ - وسبب آخر للهجرات وهو موجات الجفاف والجدب التي ربما مرت على نجد قبيل وأثناء الفترة المجهولة. فالحياة في نجد إبان تلك الفترة تعتمد اعتماداً رئيساً على الزراعة والرعي، فعدم انتظام سقوط الأمطار أو انحباسها يؤثر تأثيراً مباشراً على حياة الناس، فتقضي على حيواناتهم ونخيلهم، فكيف لو كان ذلك لعدة سنوات متلاحقة. قال الهمداني (ت بعد ٣٤٤هـ) في معرض ذكر سبب مجموعة من القصائد التي ورد فيها مواقع في بلاد العرب ما نصه: «أصاب الناس أزمة شديدة مكثوا سنة جرداء وسموها سنة الجمود، لجمود الرياح فيها وانقطاع الأمطار وذهاب الماشية وهزلها وثبات الغلاء وقلة الأطعمة وتصرم المياه في الأودية والآبار، ويسمي هذه السنة الحطمة والأزمة واللزبة والمجاعة والرمد وكحل والقصر والشدة والحاجز، فأقبل الناس بالضجة والعواء والتضرع إلى بيت الله الحرام من أرض نجد وأكناف الحجاز وأرض تهامة والسروات يدعون الله عز وجل بالفرج لهم ويستسقون، وكان في الوفد المستسقين من أهل نجد شاعر يقال له الحزازة العامري، أنشد شعراً يذكر آلاء الله عز وجل فيه ورحمته التي كانت تشملهم وتشمل أرضهم بلداً بلداً وواديا وادياً وجبلاً جبلاً» ثم ساق القصيدة[1]. ولعل هذا متزامن مع ما تقدم ذكره عن ابن سيرين أنه في سنة ٣١٠هـ انتقل أهل قرّان من اليمامة إلى البصرة لجور

(١) صفة جزيرة العرب: ٣٢٣.

الأخيضريين وجدب أرضهم. وقد سجل لنا مؤرخو نجد في أثناء فترة التدوين موجات قحط تتالت إلى عدة سنوات جعلت كثيرين من أهل نجد وخاصة منطقة سدير يهاجرون منها إلى مناطق أخرى[1]، ولعلنا نذكر مثالا يتضح منه المقصود، وهو القحط المسمى (سحي) الذي كان مبتدأه عام ١١٣٥هـ ومنتهاه عام ١١٣٧هـ، فقال الفاخري: «وفي سنة ١١٣٦هـ عمّ القحط والغلاء من الشام إلى اليمن في البدو والحضر، وماتت الأغنام وكل بعير يشد، وهلك أكثر البدو في البلدان، وقاظ ابن سويط بين الشام والعراق، وغارت آبار، وجلا أهل سدير، ولم يبق في العطار إلا أربعة رجال، وغارت آباره إلا ركيتين، وكذلك العودة إلا ركيتين، جلا كثير من أهل نجد إلى الإحساء والبصرة والعراق في هذه السنة والتي تليها، وذهبت حرب والعمارات من عنزة، وذهبت جملة مواشي بني خالد وغيرهم»[2]، فربما حدث مثل هذا في فترات سابقة كانت أكثر عنفاً والعلم عند الله. فالماء رمز الحياة وحوله يكون الاستقرار، وحيثما يوجد توجد الحضارات. ومع الجفاف والقحط تضيق مقومات الحياة بمن يسكن تلك الأرض، فيرحلون للبحث عن أرض أوسع رزقاً.. كان الأحساء والعراق أقرب الأماكن لأهل نجد الهاربين من آثار موجات الجفاف.

٤ - ومن الأسباب التي تخلي البلد من أهلها، الأوبئة الجائحة التي ربما تُهلك جميع أهل البلدة. وقد دون لنا مؤرخو نجد أثناء فترة التدوين عدداً من تلك الأوبئة

---

(١) راجع على سبيل المثال حوادث السنوات التالية: ٨٦٨ إلى ٨٦٩ في **تحفة المشتاق**، و١٠٧٦ إلى ١٠٧٨ في **تاريخ المنقور**، **وتاريخ ابن عباد**، **وعنوان المجد في تاريخ نجد**، **وتاريخ بعض الحوادث**، **وتاريخ ابن ربيعة**، **وتاريخ الفاخري**.

(٢) **تاريخ الفاخري**: ١٢٢-١٢٣.

وفتكها في الناس[١]. ولنضرب مثلاً يدل على المقصود وإن لم يكن في بلد نجدي، فقال الفاخري في حوادث سنة ١١٠١هـ: «وفيها طاعون البصرة بالعراق، قال محمد بن حيدر الموسوي: هذا الطاعون لم يعهد مثله؛ لأنه أخلى البصرة وأخربها خراباً لم تعمر إلى زماننا، وأهلك ببغداد أمة من المسلمين»[٢].. ولعلنا نذكر الوباء الذي وقع في العيينة عام ١١٣٨هـ حيث أفنى غالب سكانها بما فيهم رئيس البلد عبد الله بن محمد بن معمر[٣]، لقد أضعف هذا الوباء العيينة وأطمع فيها أعداءها بعد أن كانت تبسط نفوذها على بعض ما حولها من البلدان، فربما حدث مثل هذه الأوبئة في فترات سابقة كانت أكثر عنفاً والعلم عند الله.

٥ - وربما كل هذه الأسباب مجتمعة، فإن كل سبب من الأسباب السابقة كفيل لوحده أن يكون له آثاره السيئة على سكان المنطقة، فكيف لو اجتمعت تلك الظروف جميعاً، وكيف لو تكررت وطالت فترة تأثيرها.

ونحن لا نقرر هنا أن كل الحواضر النجدية خلت تماماً من أهلها خلال القرون المجهولة، ولكن من بقي فيها قلة لا يمتلكون ملكات ولا إمكانات إنشاء

---

(١) راجع على سبيل المثال حوادث السنوات التالية: ٨٦٤-٨٦٥، و٨٦٧، و٨٦٩، و٩٨٤ في **تحفة المشتاق**، و١٠٩٩ في **تاريخ المنقور**، **وتاريخ ابن ربيعة**، **وتاريخ الفاخري** **وعنوان المجد** **وتاريخ بعض الحوادث** **وتحفة المشتاق**، و١١١٠ في **تاريخ المنقور**، و١١٢١ في **تاريخ المنقور**، **وتاريخ الفاخري**، **وعنوان المجد**، **وتاريخ بعض الحوادث**، و١١٢٤ في **تاريخ ابن ربيعة**، **وتاريخ الفاخري**، **وعنوان المجد**، **وتاريخ بعض الحوادث**، **وتحفة المشتاق**، و١١٢٦ في **تاريخ الفاخري**، **وعنوان المجد**، **وتاريخ بعض الحوادث**، **وتحفة المشتاق**.

(٢) **تاريخ الفاخري**: ١٠٦.

(٣) راجع حوادث سنة ١١٣٨هـ في **تاريخ ابن عباد**، **وتاريخ الفاخري**، **وعنوان المجد**، **وتاريخ بعض الحوادث**، **وتحفة المشتاق**.

الحضارات، فالإنسان وإن كان هو الذي يصنع الحضارات؛ إلا أنه بدون توفر مقوماتها، فإنه يبقى عاجزاً عن صنعها. ولا أدل على وجود الناس في المنطقة من أن أعداداً كبيرة من المسميات القديمة للبلدان والمعالم الجغرافية احتفظت بأسمائها ولو بتحريف قليل، مما يدل على أن تلك الأسماء انتقلت شفهياً عبر الأجيال المقيمة في المنطقة .. بيد أنه يوجد عدد لا بأس به من المسميات القديمة لا نستطيع تطبيقها على أرض الواقع، وفي ذلك دلالة واضحة لفقد المعلومة بسبب خلو تلك المواضع من السكان لعقود متتابعة .. ومع الاستقرار الجديد تغيرت أسماؤها.

ونخلص من هذا العرض بأنه لا يُتوقع ظهور تدوينات عن المنطقة من أبنائها في تلك الفترة المجهولة.. ومع ذلك علينا أن نستمر في البحث خاصة فيما دوّن في المناطق المجاورة[1]، ورحلات الحج، والمصادر الأدبية وغيرها من المصادر؛ لتلمس ما قد يوجد فيها من معلومات تبين لنا الصورة عن أحوال المنطقة إبان القرون المجهولة.

(١) مثال ذلك ما ذكره المؤرخ اليمني يحيى بن الحسين في **غاية الأماني**: ٢٩٢/١ في أحداث سنة ٥٢٤هـ ، حيث قال: «وفيها انقطعت الطرق من اليمن إلى البصرة والكوفة عن مرور التجارة والقوافل الكبار. وكانوا يسافرون في كل عام مرتين على طريق اليمامة والحسا. وسبب انقطاعها ضعف الدولة العباسية في العراق، وظهور القرامطة الفساق. ولم يسلكها بعد ذلك إلا أهل الجهات النجدية برفاقة من ساكني تلك الأطراف. وكانوا يخرجون من نجران إلى بلاد الدواسر ثم البديع ثم الحسا في اثني عشر يوما». والحق أن هذا النص يحتاج إلى تأمل، فالمعروف أن دولة القرامطة قد سقطت في عام ٤٦٧هـ على يد عبد الله بن علي العيوني، فهل هو وهم من المؤلف، وأن قطع الطريق كان من البوادي التي تفردت بالمنطقة، أم أن جزءاً من القرامطة انحاز بعد ذلك إلى اليمامة فاتحد مع الأخيضريين مكونين جبهة جديدة ضيقت على أهل المنطقة والمارين بها.

مؤشرات نشوء النهضة النجدية الثانية:

هناك إشارات عدة تدل على ما ذهبنا إليه من عدم وجود حضارة ذات بال في نجد إبان القرون المجهولة، وآن بدايات النهوض كانت في القرن الثامن الهجري. فمن هذه الإشارات:

١ - انتشار العلم:

العلم من أبرز مظاهر الحضارة، ولا يحس الناس بأهمية العلم والحاجة إليه؛ إلا مع الاستقرار، كما لا يتوجه الطلاب لطلب العلم؛ إلا مع توافر الأمن وأسباب المعيشة، وبداية ظهور العلماء في منطقة نجد من خلال المصادر المتوافرة كان في القرن الثامن الهجري، مما يشير إلى أن أوضاع المنطقة قبل ذلك لم تسمح بظهورهم. ومما يدل على وجود العلماء في منطقة نجد في القرن الثامن الهجري الأوقاف والوصايا التي تشعر بوجود علم وعلماء، فكتبت أقدم وقفية في نجد عثر عليها حتى الآن وهي وقفية صبيح في أشيقر عام ٧٤٧هـ من قبل عالم مجهول، وهناك الشيخ أحمد بن علي بن زامل الذي كتب وقفية محمد بن بكر في القرن الثامن[(١)].

وكذلك نَسْخ الكتب ، فعبد الله بن شفيع التميمي نسخ كتاب : (التوابين) لابن قدامة عام ٧٩٩هـ[(٢)]، وكذلك منيف بن إسماعيل بن بسام أحد علماء الوهبة

---

(١) سيأتي الكلام عنها في الوصايا، والشيخ أحمد بن علي بن زامل من علماء أشيقر المجهولين، فلم يُترجم له.

(٢) **السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة**: ١١٩٧/٣ . محمد بن عبد الله بن حميد؛ تحقيق د بكر ابن عبد الله أبو زيد و د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين -٠ ط١ -٠ بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤١٦هـ . وآل شفيع من سكان أشيقر وهم من الوهبة بحسب ما ذكره الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام **علماء نجد**: ٢٠٧/٥.

من بني حنظلة من تميم نسخ كتاب : (الإفصاح عن معاني الصحاح) لابن هبيرة سنة ٨٨٢هـ[١]. وأما القرن العاشر فكثر فيه نسخ الكتب مما يؤكد كثرة العلماء في هذا القرن.

وهنا مؤشر علمي آخر يدل على تمكن الحركة العلمية في القرن التاسع وهو وقف الكتب على طلبة العلم والذي تبرزه لنا وقفية بسام بن منيف من الوهبة في أشيقر في الربع الأول من القرن التاسع تقريباً[٢].

وأقدم من عرف من علماء نجد المشهورين هو الشيخ أحمد بن يحيى بن عطوة التميمي، وقد توفي عام ٩٤٨هـ[٣]. وذكر المؤرخون سبعة من علماء عصره النجديين، وصفوا خمسة منهم بأنهم قضاة[٤]. ووجود القضاء بحد ذاته هو معلم حضاري يدل على مستوى اجتماعي متقدم، وأقدم من عرف من قضاة نجد هو الشيخ ابن عطوة ومن ذكر في عصره، وقد ذكر ابن عبد الهادي (ت ٩٠٩هـ): الشيخ رحمة النجدي ممن وُصف بالعلم وتولى القضاء ببلاد نجد[٥]. وبتتبع إحصاءات علماء نجد المتوافرة تراجمهم يلحظ أن نسبة النمو في عدد العلماء في ازدياد منذ

---

(١) يعد هذا الكتاب أقدم مخطوط اطلعنا عليه، موجود حتى الآن بخط عالم نجدي، وهو محفوظ في دارة الملك عبد العزيز بالرياض ، ضمن مخطوطات مكتبة الطويرب. وذكر الناسخ اسمه كاملاً في آخر المخطوط هكذا : (منيف بن إسماعيل بن عبد الله بن مسند بن عمر بن بسام).

(٢) **العلماء والكتاب في أشيقر خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين**: ١/١٧.

(٣) ترجمته في **السحب الوابلة**: ١/٢٧٤، و**علماء نجد**: ١/٥٤٤.

(٤) **عنوان المجد**: ٢/٣٠٣)، و**تاريخ بعض الحوادث**: ٤٦.

(٥) **الجوهر المنضد في طبقات متأخري أصحاب أحمد**: ٤٠ . قال المحقق: لعله يقصد عبد الله بن رحمة الناصري، قلنا: بل لعله والده، فهو الأقرب والله أعلم.

القرن العاشر الهجري فما بعده[١]، وهذه الزيادة في عدد العلماء تتناسب طردياً مع النمو السكاني والعمراني في المنطقة[٢]، وهو ما سنتكلم عنه لاحقاً. ومن ناحية أخرى لو طبقنا نسبة النمو هذه عكسياً بشكل افتراضي، لوجدنا أن بداية الحركة العلمية ربما كانت إبان القرن الثامن الهجري أو أواخر السابع[٣].

ولعلنا نضرب مثلاً يدل على صحة ما ذهبنا إليه وهو ما ذكره السخاوي (ت ٩٠٢هـ) عن المدينة المنورة حيث أشار إلى تلاشي العلم فيها بعد اشتهارها به، ثم قال: «ولكن نشأ بها في القرنين الثامن والتاسع أفراد من العلماء في غالب المذاهب والفنون، انتفع بهم أهل السنة»[٤]، ولم تكن بغداد والبصرة وحمص بأحسن حال من المدينة المنورة بحسب ما قرره السخاوي رحمه الله.

لقد بلغ بفضل الله النمو الحضاري في نجد خلال القرن التاسع الهجري مبلغاً أحس فيه بعض أهل نجد بضرورة القيام بالبعثات العلمية لتعلم العلوم غير الموجودة في نجد، أو أنها موجودة ولكن على ضعف، فرغبوا في الأخذ من مواردها الأصلية، وبلوغ المراتب العلمية العالية، وهذا إنما يعكس مكانة العلم في نجد باعتبارها مؤشراً حضارياً مهماً. فهناك عدد من العلماء رحلوا في طلب العلم إلى

---

(١) وهذه الإحصاءات وإن كانت غير دقيقة من حيث استيعاب معظم العلماء؛ إلا أنها تصلح مؤشرات تعضد الدلائل الأخرى، للوقوف على هذه الإحصاءات. انظر: **مجلة العصور**، ج٨، المحرم ١٤١٤هـ، وأيضاً **نجد قبل ٢٥٠ سنة**: ٣٨. وكذلك **الحياة العلمية في نجد**: ٣١.

(٢) **العصور**، ج٨، ١٤١٤هـ، ص ٤١٣.

(٣) فلو كان عدد العلماء - بحسب إحصاء د. عويضة الجهني - في القرن العاشر ١٥ عالماً، وفي القرن الحادي عشر ٢٨ عالماً، فتكون نسبة النمو في عدد العلماء بلغت ٥٠٪ تقريباً، وعليه يمكن أن يتوقع عدد العلماء في القرن التاسع بسبعة علماء تقريباً، والثامن ثلاثة علماء.

(٤) **الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ**: ١٧١-١٧٧.

الشام ومصر، فمنهم من عاد وكان له أثر كبير في بدايات انتشار العلم في البلدان النجدية، ومنهم من طاب له المقام في البلدان التي ذهب إليها فكانت له موطناً بعد موطنه الأصلي. وممن قام برحلات علمية من علماء نجد: الشيخ أحمد بن عطوة، حيث رحل إلى دمشق ثم عاد إلى نجد[١]، والشيخ زامل بن سلطان اليزيدي (من علماء القرن العاشر) . رحل إلى دمشق ثم القاهرة ثم عاد إلى نجد[٢]، والشيخ محمد بن إبراهيم بن محمد بن أبي حميدان . (توفي آخر القرن العاشر) . رحل إلى دمشق ثم القاهرة ثم عاد إلى نجد[٣]، والشيخ أحمد بن محمد بن مشرف التميمي (ت ١٠١٢هـ) . رحل إلى دمشق ثم عاد إلى نجد[٤]. وذكر ابن عبد الهادي : أحد مشاهير علماء الحنابلة في دمشق ، اثنين ممن قرأ عليهما الفقه كل واحد منهما اسمه أحمد النجدي[٥]، وذكر أيضاً بأن فضل بن عيسى النجدي (ت ٨٨٢هـ) قرأ عليه (المقنع)[٦]، وذكر أن قاسماً النجدي قدم عليه بعد ٨٦٠هـ[٧]. وليس هدفنا هنا الاستقصاء وإنما الإشارة إلى ما وصلت إليه الحركة العلمية في نجد من تطور.

هذا وقد اشتهرت بعض مدن نجد بالازدهار العلمي قبل قيام الدولة

---

(١) **السحب الوابلة**: ١/٢٧٤، و**علماء نجد**: ١/٥٤٥.

(٢) **علماء نجد**: ٢/١٩٨.

(٣) **علماء نجد**: ٥/٤٨١ و٤٨٢).

(٤) **علماء نجد**: ١/٥٤٠.

(٥) **الجوهر المنضد**: ١٥. وقد رجح المحقق أن يكون أحدهما ابن عطوة ولم يعرِف الثاني، قلنا: لعله أحمد بن محمد بن بسام والد الشيخ محمد القاضي المشهور، الذي شهد على نَسْخ وصية صبيح في ١٥/٩/٨٩٠هـ، وكتب شهادته بخط يده.

(٦) **الجوهر المنضد**: ١١٢. يلاحظ أن الجد الخامس للشيخ أبو نمي بن عبد الله العريني اسمه: فاضل بن عيسى (**علماء نجد**: ١/٤٣٣.

(٧) المرجع السابق.

السعودية الأولى مثل أشيقر والعيينة[1]، مما يشير إلى الحركة الثقافية القوية فيها، حيث أصبحت هذه المدن تقصد لنوع من التأهيل العلمي العالي.

ومما يشير إلى صحة ما رجحناه من أن الحركة العلمية قد تكون وليدة القرن السابع وتطورت ببطء: أن الشيخ أحمد بن محمد المنقور التميمي (ت ١١٢٥هـ) اطلع على مئات الوثائق والمسائل والرسائل والمجاميع والكتب، ونقل في مجموعه الفقهي كثيراً من محتوياتها، وأقدم من نقل عنه من علماء نجد هو الشيخ أحمد بن عطوة.

لقد كان لهذه الحركة الثقافية في نجد التي تطورت شيئاً فشيئاً منذ القرن الثامن الهجري أثر في ظهور التدوين النجدي من مخطوطات ووثائق، الذي بدأ ضعيفاً ثم تطور، وكان لهؤلاء العلماء الرواد أثر كبير في تدوين كثير من المعلومات التي نعتمد عليها في تحليلاتنا لتلك الفترات التاريخية. وأما في القرون المجهولة فلم يكن هناك علماء، وبالتالي لا ينبغي أن نتوقع أن يكون هناك تدوين. وقد رأينا بعض المهتمين يتوقع أن هناك تدوينات نجدية في القرون المجهولة لكن لم تصل إلينا، والذي يظهر أن هذا أمر مستبعد؛ إلا أن تكون كتابات من مهتمين خارج منطقة نجد.

٢ - إعمار المدن:

إن ظاهرة بناء المدن على ضفاف وديان نجد أو إعادة إعمار ما اندثر منها وشراء أطلالها، مؤشر آخر يدل على بداية النهضة في القرن الثامن الهجري فما بعده، مما يدل على النمو والاستقرار في المنطقة التي كانت تفتقدهما قبل ذلك، كما

(١) راجع **علماء نجد**: ١/١٥، **ونجد قبل ٢٥٠ سنة**: ٣١.

يدل أيضاً على هجرات معاكسة سببها ازدهار المنطقة لخصوبتها وتزايد فرص العمل فيها، ويدل من ناحية أخرى على تحضر بعض البوادي[1].

ولعلنا نورد ما يدلنا على حال بعض البلدان النجدية في القرن السابع، فقد قال الشاعر علي بن المقرب العيوني (ت ٦٣٠هـ) في قصيدة يمدح فيها الأمير محمد ابن مسعود العيوني:

فخير من الأحساء إن دام عتبكم أُشي ووادي ملهم ونعام

قال الشارح[٢] : «أشي وملهم ونعام: من قرى اليمامة، وهي في وقتنا هذا خراب غير مسكونة»[٣]، قلنا: وقد عمرت بعد ذلك كما هو معلوم. لقد مرّ ابن بطوطة على نجد في طريقه إلى الحج قادماً من الأحساء عام ٧٣٢هـ فقال: «ثم سافرنا إلى مدينة اليمامة وتسمى أيضاً بحَجْر- بفتح الحاء المهملة وإسكان الجيم - مدينة حسنة خصبة ذات أنهار وأشجار، يسكنها طوائف من بني حنيفة، وهي بلدهم قديماً، وأميرهم طفيل بن غانم»[٤]. ولهذا النص دلالتان: الأولى: أن ابن بطوطة لم ير أثناء مروره بنجد ما يحسن وصفه سوى حَجْر، بالرغم حرصه على تدوين ما يراه، مما قد يشير إلى عدم وجود مظاهر حضارية ذات أهمية في تلك الفترة.

---

(١) أشار د. عويضة الجهني إلى أن منطقة نجد فقدت كثيراً من بلدانها وسكانها منذ القرن الرابع الهجري تقريباً، وأنها أخذت تستعيد نموها العمراني والسكاني منذ منتصف القرن التاسع تقريباً. **العصور**، ج٨، ١٤١٤هـ، ص٤٠٠، و٤٠٩.

(٢) قال د. أحمد موسى الخطيب محقق **ديوان ابن المقرب**: ٢٣/١: الشارح وهو مجهول كان معاصراً لابن المقرب، وأن الأخير قد أملى عليه الكثير من الأخبار والتفاصيل التي لا يعرفها سواه، وأنه كان وراء توجيه الشروح نحو معان بعينها.

(٣) **ديوان ابن المقرب**: ٨٣٥/٢.

(٤) **رحلة ابن بطوطة**: ١٥٣/٢.

الثانية: أن حجر هي قاعدة اليمامة في صدر الإسلام[١]، لكن بعد سيطرة الدولة الأخيضرية على اليمامة نقلوا قاعدتها إلى الخضرمة[٢]، مما يدل على أن حَجراً بدأت تستعيد عافيتها وسمعتها عندما مرّ بها ابن بطوطة هذا العام[٣].

إن بناء المدن من أوضح رموز الحضارة، ففيها يوجد العلم، ومن خلالها ينمو التبادل التجاري، فيزدهر الاقتصاد الذي يؤثر على شكل حياة الناس ورفاهيتهم، وهذا ما نراه في نجد من القرن الثامن الهجري فما بعده.

لقد أشار ابن فضل الله العمري (ت ٧٤٩هـ) نقلاً عن أحد سكان إقليم سدير من بني عائذ ما يشير إلى أن البوادي أخذت بالاستقرار في القرن الثامن الهجري، فقال: «حدثني أحمد بن عبد الله الواصلي : إن بلادهم بلاد خير، ذات زروع وماشية بقرى عامرة، وعيون جارية، ونعم سارحة»[٤].

وهنا بعض المعلومات عن إنشاء بعض البلدان النجدية، فقد ذكر الشيخ محمد ابن عبد العزيز بن مانع أن نشأة عنيزة كانت في عام ٦٣٠هـ تقريبا[٥]، وفي عام

---

(١) **مدينة الرياض**: ٤٦.

(٢) المرجع السابق: ٥، **ومجلة كلية اللغة العربية**، ع ٦، ص ٤٦١.

(٣) تجدر الإشارة إلى أن ابن بطوطة لما مرّ على القطيف وصف أهلها بأنهم شيعة غلاة . **رحلة ابن بطوطة**: ١٥١/٢، ثم لما قدم إلى مدينة حَجْر في اليمامة لم يذكر بأنهم كذلك (١٥٣/٢)، مما يدل على اختفاء التشيع من اليمامة بعد أن فرضته دولة بني الأخيضر.

(٤) **مسالك الأبصار**: ٣-١٥٠/٤.

(٥) **تاريخ بعض الحوادث**: ٢٣٢. وأشار الشيخ ابن ضويان إلى أن العيّاريّة في عنيزة كانت لبني يربوع فخربت فكان أول من سكنها بعدهم الجناح من بني خالد في حدود المئة السادسة من الهجرة، وبعد ٧٠٠هـ سكن زهري السبيعي في عنيزة **تاريخ ابن ضويان**: ٣٥، وراجع **معجم بلاد القصيم**: ١٧٦٣/٤-١٧٦٨. وأما الشيخ عبد الله البسام فذكر أن نشأتها كانت في القرن السابع الهجري دون أن يحدد تاريخاً، **علماء نجد**: ١٨٩/٦. ويَرِد إشكال على هذا التاريخ وهو أن (الجناح) - أحد الأحياء التي تكونت منها عنيزة فيما بعد - والذي يسكنه بنو خالد أقدم

٧٠٠هـ تقريباً أعيد عمارة بلد جلاجل على ما قرره الأستاذ عبد الله بن خميس[١]، والتواريخ المذكورة لنشأة عنيزة وجلاجل غير دقيقة، والأقرب والله أعلم أن نشأتهما متأخرة عن ذلك. وأمَّا عام ٨٥٠هـ تقريباً فقد شهد نشوء مدينتين مهمتين كان لهما أثر حضاري وسياسي مهم في نجد هما : العيينة والدرعية[٢]. أما الأولى فقد اشتراها حسن بن طوق (جدّ آل معمر) من آل يزيد وانتقل إليها من ملهم، وفي هذا إشارة إلى عمارة بلد ملهم بعد أن كانت خراباً في عهد الشاعر ابن المقرب، وأما الثانية فقد وهبها ابن درع لمانع المريدي الذي قدم من منطقة القطيف، وكأن منطقة المدينتين كانت مهملة من ملاكها الأول. ويذكر علماء آل شبانة بأن بلدة حرمة عمرها إبراهيم بن حسين بن مدلج عام ٨٧٠هـ، وعمارة المجمعة بعد ذلك بخمسين سنة، أي عام ٩٢٠هـ[٣]، ومن ذلك لنا أن نتوقع أن عمارة بلد التويم بواسطة

من الأحياء التي يسكنها آل زهري **تاريخ ابن ضويان**: ٣٥. **تاريخ بعض الحوادث**: ٢٣٢-٢٣٣، وابن فضل الله العمري (ت ٧٤٩هـ) ذكر في كتابه **مسالك الأبصار**: (٣-٤/١١٥)، أن آل جناح من بني خالد بادية، وأنهم يفدون على آل ربيعة من عرب الشام. فآل جناح كانوا بادية في القرن السابع وربما أول الثامن؛ لأن ابن فضل الله العمري يتكلم عن وضع سابق له ومصدره هو الحمداني الذي هو من أهل القرن السابع الهجري؛ إلا أن العمري ذكر دار بني خالد فعد عنيزة من ضمن مواضع أخرى في القصيم (٣-٤/١٤٨) لكن لم يحدد ما إذا كانت مورد ماء لهم أم بلدة معمورة.

(١) **معجم اليمامة**: ١/٢٧٣، ولم يحل إلى مصدر في ذلك. وقد ذكر المؤرخ إبراهيم بن عيسى في **مجموع ابن عيسى**: ٧٢ أن جلاجل كانت لمحدث التميمي فغلبه عليها الدواسر فتركها لهم، وبعد عدة تنقلات أنشأ محدث بلدة الغاط أيضاً، ومن المتوقع أن محدثاً قد عاش في القرن العاشر الهجري.

(٢) **تاريخ الفاخري**: ٨١، **وعنوان المجد**: ٢/٢٩٦، **وتاريخ بعض الحوادث**: ٣٥-٣٦، **وتحفة المشتاق**: ٢٩.

(٣) **مجلة العرب**، س١٦، ١٤٠٢هـ، ص٦٠٣، **وتاريخ حمد بن محمد بن لعبون**: ٩٩ و ١٠٤.

مدلج بن حسين الوائلي وقرابته كانت عام ٨٠٠هـ تقريباً[١]. وقد ذكر ابن لعبون أن التويم وحرمة كانتا أطلالاً لمدن خربت، كانت من منازل بني عائذ أو غيرهم. وعمر آل صقية بلدة الرس بعد أن كانت خراباً في سنة ٩٥٠هـ[٢]، وأما بريدة فقد أنشئت عام ٩٥٨هـ تقريباً[٣]، وغرست بلدة الحصون في سدير مرتين الأولى عام ٩٨٣هـ[٤] والثانية عام ١٠١٥هـ بإذن صاحب قارة سدير[٥]، وأنشئت الحريق عام ١٠٤٠هـ[٦]، وإعادة عمارة بلدة حريملا بعد أن كانت خراباً كان عام ١٠٤٥هـ[٧]، فقد اشتراها آل حمد من ابن معمر أمير العيينة، وإنشاء بلدة ثادق كان عام ١٠٧٩هـ[٨]. ونقف عند

---

(١) ويذكر ابن لعبون في إحدى روايتيه **مجلة العرب**، س١٦، ١٤٠٢هـ، ص ٥٩٦-٥٩٧ بأن عمارة بلدة التويم كانت عام ٧٠٠هـ تقريباً، وحرمة ٧٧٠هـ، والمجمعة ٨٢٠هـ، وعنه نقل ابن عيسى **تاريخ بعض الحوادث**: ٢٨-٣٢، والبسام **تحفة المشتاق**: ٦٥؛ إلا أن هذا التاريخ لا يوافق عليه، لعدة دلائل ذكرها بعض الباحثين. راجع ما كتبه الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله التويجري في **الإفادات عما في تراجم علماء نجد لابن بسام من التنبيهات**: ٢٥-٢٦، وكذلك ما كتب في **مجلة العرب**، س٣١، ١٤١٦هـ، ص ٢٧٧-٢٨٠.

(٢) **علماء نجد** : ٤/٤٢٠. وأما الشيخ ابن ضويان فذكر أنه في المئة التاسعة دون تحديد سنة **تاريخ ابن ضويان**: ٣٥، وراجع **معجم بلاد القصيم**: ٣/١٠٢٦.

(٣) **عقد الدرر**: ٩٥. إبراهيم بن صالح بن عيسى، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة، ١٤١٩هـ. وأما الشيخ محمد بن عبد الله بن بليهد فلم يحدد نشأتها على وجه الدقة ولكنه قال: في النصف الأخير من القرن العاشر **صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار**: ١/١٥٤، ط٣، ١٣٩٩هـ.

(٤) تاريخ ملحق بـ **ديوان ضبط أوقاف أشيقر**: ق١، مخطوط.

(٥) **تاريخ الفاخري**: ٨٦، **وعنوان المجد**: ٢/٣٠٦، **وتاريخ بعض الحوادث**: ٥١، **وتحفة المشتاق**: ١٠٢.

(٦) **تاريخ الفاخري**: ٨٨، **وعنوان المجد**: ٢/٣١٩، **وتاريخ بعض الحوادث**: ٥١، **وتحفة المشتاق**: ١١٢.

(٧) **تاريخ الفاخري**: ٨٩، **وعنوان المجد**: ٢/٣٢٠، **وتاريخ بعض الحوادث**: ٥٢، **وتحفة المشتاق**: ١١٥.

(٨) **تاريخ ابن ربيعة**: ٦٢، **وتاريخ الفاخري**: ٩٥، **وعنوان المجد**: ٢/٣٢٩، **وتاريخ بعض الحوادث**: ٦٢، **وتحفة المشتاق**: ١٣٠.

هذا الحد، حيث تتالى بعد ذلك عمارة بعض البلدان النجدية أو إعادة إعمارها، وليس المقصد الاستقصاء وإنما ما يكفي للإشارة إلى المقصود من توفر مقومات الحياة والاستقرار والنمو العمراني والسكاني في المنطقة بعد القرون المجهولة.

هذا وقد بقي عدد من بلدان نجد المندثرة قبيل أو أثناء القرون المجهولة دون إحياء مرة أخرى، فبقيت خراباً إلى اليوم مثل أبو الريش، والمحمدية، ويترب في الوشم، والربذة، وغيرها[1].

٣ - الوصايا والأوقاف:

الوصايا والأوقاف تتضمن مؤشراً حضارياً يدل على المستوى العلمي والاقتصادي والاجتماعي الذي يعيش الناس فيه زمن الوقف، كما يشير من جهة أخرى إلى الاستقرار والنماء. وأقدم ما وصل إلينا علمه من الأوقاف كان في القرن الثامن، فوقفية صبيح دونت عام ٧٤٧هـ في أشيقر بخط كاتب مجهول[2]، وشهد الربع الأخير من هذا القرن تدوين وقفية محمد بن بكر[3]، كتبها أحمد بن علي بن زامل، من علماء أشيقر. أما في القرن التاسع الهجري، فقد تعددت فيه الوقفيات ففي الربع الأول منه دونت وقفية بسام بن منيف في أشيقر[4]، وأما وقفية صقر بن قطامي فكتبها وحكم بصحتها الشيخ طلحة بن حسن بن بسام في شوال سنة ٩٤٢هـ

(١) ذكر ياقوت الحموي أن هذه البلدان كانت قائمة في وقت من الأوقات، راجع **معجم البلدان**: و٢٤/٣، و٣٧٨/٥، و٤٢٩/٥.

(٢) **ديوان ضبط أوقاف أشيقر**: ق٢٤، و**الحركة العلمية في أشيقر**: ٣٧٢، وكُتب عنها في **مجلة العرب**، س٢، ١٣٨٧هـ، ص ٥١-٥٩. وقد نُسخت في ١٥/٩/٨٩٠هـ بخط علي بن شفيع، الذي أشهد عليها عشرة من طلبة العلم في ذلك الزمان الذين كتبوا شهاداتهم بخطوط أيديهم.

(٣) **العلماء والكتاب في أشيقر**: ٤٤/٢.

(٤) المرجع السابق : ١٧/١.

في أشيقر أيضاً[١]، وأشهد عليها سبعة من طلبة العلم .. وفي المجال نفسه نجد وقفية الشيخ حسن بن علي بن بسام في أشيقر دونت قبل عام ٩٤٥هـ[٢]، ووقفية سلطان بن رميح في ١٥/٨/٩٤٧هـ، كتبها الشيخ طلحة بن حسن بن بسام في أشيقر[٣]، وهناك وقفية الكبيشية في مقرن (من أحياء الرياض الآن) عام ٩٦٩هـ. كتبها الشيخ ناصر بن أحمد بن بريد[٤]، ووقفية رميثة بن قضيب في أشيقر في ١٩/٩/٩٨٦هـ، كتبها محمد (القاضي) بن أحمد بن بسام[٥]، ووقفية امرأة اسمها رجّاسة في أشيقر كتبها القاضي أيضاً في آخر القرن العاشر الهجري[٦]. ونقف عند نهاية هذا القرن فليس مهمتنا الاستقصاء كما أسلفنا وإنما ذكر ما يشير إلى نمو المنطقة بعد القرون المجهولة، ومن المؤكد أن يكون هناك عدد آخر من الوصايا في هذه الفترة لم نقف عليها.

٤ - النمو الاقتصادي:

مما يستأنس به في الإشارة إلى التطور الحضاري في المنطقة وجود الوثائق الدالة على التبادل الاقتصادي المتمثل في بيع وشراء العقارات والسلع الأخرى، فنجد علماء القرن العاشر يتكلمون عن مقاييس الكيل والوزن في تلك الفترة .. ومن

(١) **ديوان ضبط أوقاف أشيقر**: ق٣٤، و**الحركة العلمية في أشيقر**: ٣٨٨، وكُتب عنها في **مجلة العرب**، س٢، ١٣٨٧هـ، ص ٥٥٤-٥٦١.

(٢) **العلماء والكتاب في أشيقر**: ١/٤٠.

(٣) **ديوان ضبط أوقاف أشيقر**: ق٥٠.

(٤) **الفواكه العديدة في المسائل المفيدة**: ١/٤٧٨-٤٨١. أحمد بن محمد المنقور ٠- ط١٠- دمشق: المكتب الإسلامي ، ١٣٨٠هـ، وكُتب عنها في **مجلة الدارة**، ع٢، س٣٠، ١٤٢٥هـ، ص٢٧٩-٣١٧.

(٥) **ديوان ضبط أوقاف أشيقر**: ق٣١، و**الحركة العلمية في أشيقر**: ٣٨٢، وراجع **مجلة العرب**، س٢، ١٣٨٧هـ، ص ٥٥٤-٥٦١.

(٦) **العلماء والكتاب في أشيقر**: ١/١٤٧.

ذلك ما ذكر من اختلاف الشيخ أحمد بن عطوة مع الشيخ عبد الله بن رحمة بشأن التمر المعجون هل يباع كيلاً أم وزناً[١]، والشيخ محمد بن مانع بن شبرمة (من علماء القرن العاشر) ذكر مقارنته بشأن صاع سدير مع صاع النبي ﷺ [٢]. وأما بيع العقارات والسلع في القرن العاشر فقد أشار المنقور إلى عدد منها[٣].

ومما يشير إلى النمو الاقتصادي في المنطقة في القرن التاسع ظهور القوافل التجارية التي تحمل البضائع المستوردة من العراق والأحساء وغيرها، والتي تتعرض لتعدي البادية وقطاع الطريق[٤]. لقد ذكر البسام حوادث تشير إلى وجود التعامل التجاري مع مناطق خارج نجد كالعراق والأحساء، فقال في حوادث عام ٨٥٩هـ: «وفيها أخذ الدواسر قافلة كبيرة لأهل الخرج، خارجة من الأحساء، ومعهم من الأموال والأمتعة شيء كثير وذلك بالقرب من حرض»[٥] . وقال في حوادث عام ٨٧٦هـ: «وفي هذه السنة أخذ آل مغيرة قافلة كبيرة لأهل نجد خارجة من الحساء بالقرب من أبا الجفان الماء المعروف، وهو من الرياض على ست عشرة ساعة، ومعهم من الأموال شيء كثير»[٦]، وقال في حوادث عام ٨٧٩هـ: «في هذه السنة أخذ آل كثير والعوازم وزعب قافلة كبيرة لأهل نجد على اللصافة وهي خارجة من البصرة، وفيها من الأموال والأمتعة شيء كثير»[٧]، وقال في حوادث ٩٣٩هـ: «في

(١) **علماء نجد**: ١/٥٤٩.

(٢) **الفواكه العديدة**: ١/١٦٢.

(٣) انظر على سبيل المثال **الفواكه العديدة**: ١/٢٢٣، و٢٥٠.

(٤) راجع **نجد قبل ٢٥٠ سنة**: ١٠٦-١٠٨.

(٥) **تحفة المشتاق**: ٤١.

(٦) المرجع السابق: ٤٦.

(٧) المرجع السابق: ٤٧.

هذه السنة أخذ آل مغيرة وآل كثير قافلة لأهل الخرج خارجة من الأحساء بالقرب من الخرج، وفيها من الأموال والأمتعة شيء كثير»[1]، وقال في حوادث ٩٧٠هـ: «وفيها أخذت عنزة قافلة كبيرة لأهل الوشم وسدير بالقرب من سدير، وهي خارجة من البصرة وفيها من الأموال والأمتعة شيء كثير»[2]. وغيرها من الأمثلة. ويظهر أن المؤرخين لم يرصدوا إلا القوافل التي تم اعتراضها، فلم يكتب لها النجاة، لما لذلك من أهمية في حياة الناس. ولا ينفي ذلك عدم وجود التعامل التجاري الذي يصل بأمان؛ فمشهور في ذلك الوقت دفع الإتاوات (الأخاوة) لشيوخ القبائل مقابل الحماية في حدود أراضي قبائلهم[3]. ولم يبطل هذه الظاهرة إلا قادة الدولة السعودية الأولى بتوفيق من الله تعالى.

٥ - اهتمام الدول المجاورة بالسيطرة على المنطقة:

لقد جاء طبعياً اهتمام دولة آل جبر في الأحساء ومن ثم أشراف مكة بنجد في القرنين التاسع والعاشر بعد أن ازدهرت المنطقة؛ لتكون أحد الموارد لدولهم، فتاريخياً تعتبر اليمامة بلداً زراعياً يغذي مكة كما جاء ذلك في قصة إسلام ثمامة ابن أثال، حيث قال لقريش بعد إسلامه: «ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله»[4]، مما يدل على خصوبة منطقة اليمامة. وقد ذكر ابن حوقل (ت بعد ٣٦٧هـ) أن نخيل وثمر المنطقة أكثر من سائر الحجاز[5]، ووصف

(١) **تحفة المشتاق**: ٧٣-٧٤.

(٢) المرجع السابق: ٨٢.

(٣) راجع **سفر نامة**: ١٣٨-١٣٩، و**غاية الأماني**: ٢٩٢/١.

(٤) أخرجه البخاري في **صحيحه**، حديث رقم ٤١١٤، ومسلم في **صحيحه**، حديث رقم ١٧٦٤.

(٥) **صورة الأرض**: ٣٨.

ياقوت (ت ٦٢٦هـ) الخرج بأنه من خير واد باليمامة[١]، وقد نقل ياقوت إشارات السكوني إلى خصوبة بلد سدوس[٢]، وكثرة نخيل ملهم[٣].

بالإضافة إلى خصوبة منطقة نجد، فإن أهميتها تستمد أيضاً من موقعها المتوسط في جزيرة العرب وسهولة اتصالها بالمناطق الأخرى في شبه الجزيرة العربية، وكذلك توافد القبائل على منطقة نجد[٤] التي أخذت بالتعدي على مصالح تلك الدول والاعتراض لحملات الحج المخترقة لمنطقة نجد، مما حدا بحكام تلك الدول إلى إرسال الحملات العسكرية لإخضاع تلك القبائل.

لقد سيطرت الدولة الجبرية في الأحساء على مراعي نجد وقبائلها وبلدانها[٥]، حتى وصلت مظاهر السيطرة إلى تعيين القضاة في بلدان نجد الكبرى كالعيينة[٦]، بل ووصف بعض أمرائها برئيس نجد[٧]. وقد ذكر البسام إحدى عشرة حملة لأمراء الدولة الجبرية على نجد، وذلك بين عامي ٨٥١هـ إلى ٩٢٩هـ[٨].

---

(١) **معجم البلدان**: ٢/٣٥٧.

(٢) **معجم البلدان**: ٤/٣٤٠، وقد ذكرها ياقوت تحت رسم القرية، وقد انقرض هذا الاسم وبقي موضعها يقال لها سدوس، **صحيح الأخبار**: ٣/١٠٨.

(٣) **معجم البلدان**: ٥/١٩٦.

(٤) راجع في تحركات القبائل في القرنين التاسع والعاشر **من أخبار القبائل في نجد**: ١٧-٦٢.

(٥) انظر: **مجلة كلية الآداب**، جامعة البصرة، ع١٦، ١٩٨٠م، ص٣١-١٠٩، **وأنساب الأسر الحاكمة في الأحساء**: ١/٢٠٤-٣١٧.

(٦) **عنوان المجد**: ٢/٣٠٣، **وتاريخ بعض الحوادث**: ٤٦.

(٧) **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**: ١/١٩٠.

(٨) راجع أحداث السنوات التالية في **تحفة المشتاق** : ٨٥١هـ، ٨٥٢هـ، ٨٥٥هـ، ٨٥٨هـ، ٨٦٦هـ، ٨٨٧هـ، ٨٩٠هـ، ٨٩٣هـ، ٩٠٠هـ، ٩١٦هـ، ٩٢٩ هـ. وانظر **مجلة جامعة الإمام**، ع٣٦، ١٤٢٢هـ، ص٢٢٩-٤١٩. هذا وقد ضعف شأن الدولة الجبرية قبل أن تسقط على يد راشد بن مغامس عام ٩٣٣هـ، **أنساب الأسر الحاكمة في الأحساء**: ١/٢٣٨.

أما الأشراف فكانت أولى حملاتهم عام ٩٨٦هـ[(١)]، حيث يظهر في رواية ابن بشر ما يشير إلى الأطماع المادية في المنطقة، حيث قال: «وفي سنة ست وثمانين وتسعمائة سار الشريف حسن بن أبي نمي صاحب مكة إلى نجد، وحاصر معكال المعروف في الرياض، ومعه من الجنود نحو خمسين ألفاً، وطال مقامه فيها. وقتل فيها رجالاً ونهب أموالاً وأسر منهم أناساً من رؤسائهم، وأقاموا في حبسه سنة، ثم أطلقهم على أنهم يعطونه كل سنة ما يرضيه، وأمر فيهم محمد بن فضل»[(٢)]. وأما الحملة التالية فكانت عام ٩٨٩هـ، حيث قال ابن بشر: «وفي سنة تسع وثمانين وتسعمائة سار الشريف حسن بن أبي نمي إلى ناحية الشرق من نجد في جيش كثيف ومدافع كبار ففتح مدناً وحصوناً تعرف بالبديع والخرج والسلمية واليمامة ومواضع في شوامخ الجبال ثم عين من رؤسائه من ضبطها على أمور اقترحها وشرطها وغادر راجعاً»[(٣)]. وحملتهم التالية كانت في عام ١٠١١هـ[(٤)]، حيث تتالت بعد ذلك حملات الأشراف على نجد، وقد أحصينا من خلال المصادر التاريخية النجدية التي اطلعنا عليها[(٥)] خمساً وعشرين حملة بين

---

(١) ضَمت الدولة العثمانية نجداً تحت ولاية الأشراف في سنة ٩٦١هـ. **سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي**: ٣٤٠/٤.

(٢) **عنوان المجد**: ٣٠٤/٢، وأما الفاخري **تاريخ الفاخري**: ٨٨، والبسام **تحفة المشتاق**: ٩١ فذكرا الحادثة في عام ٩٨٨هـ، ولعله تصحيف.

(٣) **عنوان المجد**: ٤٠٣/٢، وانظر: **تاريخ الفاخري**: ٨٤، **وتحفة المشتاق**: ٩١، **وتاريخ ابن ضويان**: ٥٦.

(٤) راجع حوادث هذه السنة في **تاريخ ابن ربيعة**، **وتاريخ ابن عباد**، **وتاريخ الفاخري**، **وعنوان المجد**، **وتحفة المشتاق**.

(٥) وهي **تاريخ المنقور**، **وتاريخ ابن ربيعة**، **وتاريخ ابن عباد**، **وتاريخ الفاخري**، **وعنوان المجد**، **وتاريخ بعض الحوادث**، **وتحفة المشتاق**، **وتاريخ ابن ضويان**.

عام ٩٨٦هـ وعام ١١٤٠هـ. ومن مظاهر سيطرة الأشراف على نجد تعيين القضاة وأمراء البلدان[(١)].

كل ما مضى دلائل على أن الحضارة دبت في نجد ابتداءً من القرن الثامن؛ بعضها قوي الدلالة إلى ما ذهبنا إليه، وبعضها يدل بالإشارة المحتملة. وأياً كان الأمر فلابد أن نذكر هنا أن التقدم الحضاري كان بطيئاً في المنطقة، حيث أخذت العملية قروناً؛ فمن القرن السابع حتى العاشر تكاد التغيرات تكون طفيفة، وذلك أن الاضطرابات السياسية في المنطقة أخلّت بالأمن وأثرت على استقرار الاقتصاد، هذا بالإضافة إلى قلة الإمكانات، ولذا جاء التقدم الحضاري بطيئاً جداً، حتى أذن الله سبحانه وتعالى بظهور دعوة الإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب بالتعاضد مع حامل لوائها الإمام محمد بن سعود في منتصف القرن الثاني عشر الهجري ، حيث ناديا بفكرة الحكومة المركزية التي تُعْنى بتجديد ما اندرس من معالم الدين الإسلامي الحنيف عقيدة ، وشريعة ، وسلوكاً ، فتوحدت الكلمة وقامت الدولة السعودية الأولى عام ١١٥٧هـ ، فتسارعت في المنطقة - بوقت قياسي - خطى الحضارة بأوجهها المختلفة : العلمية ، والأمنية ، والاقتصادية، والاجتماعية ، والعمرانية ، والعسكرية ، وغيرها.

وفي الختام تجدر الإشارة إلى أنه لم يكن من منهجنا التوسع والاستقصاء، ولكن حسبنا أننا بذلنا الجهد لفتح باب إلى اتجاه آخر لدراسة الموضوع؛ علّ ذلك يفتق الأذهان، ويفتح مجالات للباحثين المتخصصين لتلمس الحقائق.

---

(١) من ذلك : تعيين الشيخ محمد بن أحمد القاضي في قضاء عالية نجد، **تاريخ بعض الحوادث**: ٢١٣، وتعيين محمد بن فضل أميراً على معكال، **عنوان المجد**: ٣٠٤.

المصادر والمراجع

أولاً: المخطوطات:

١ - **الإفصاح عن معاني الصحاح** لابن هبيرة؛ نسخه منيف بن إسماعيل بن عبد الله ابن مسند بن عمر بن بسام سنة ٨٨٢هـ، وهو محفوظ في دارة الملك عبد العزيز بالرياض، ضمن مخطوطات مكتبة الطويرب.

٢ - **ديوان ضبط أوقاف أشيقر**، مصورة لدى جمعية أشيقر الخيرية.

٣ - **مجموع ابن عيسى** لإبراهيم بن صالح بن عيسى، نسخة مصورة لدى الباحثين.

ثانياً: الكتب المطبوعة:

١ - **أنساب الأسر الحاكمة في الأحساء** لمحمد بن عمر بن عقيل .- الرياض : دار اليمامة، ١٤٠٣هـ.

٢ - **الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ** لشمس الدين السخاوي؛ تحقيق عثمان الخشت.- الرياض : مكتبة الساعي .

٣ - **الإفادات عما في تراجم علماء نجد لابن بسام من التنبيهات** .- ط١، ١٤١١هـ.

٤ - **تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد** لإبراهيم بن صالح بن عيسى؛ تحقيق دار اليمامة .- ط١ .- الرياض : دار اليمامة، ١٣٨٦هـ.

٥ - **تاريخ حمد بن محمد بن لعبون** .- ط٢ .- الطائف : مكتبة المعارف، ١٤٠٨هـ.

٦ - **تاريخ ابن خلدون** لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون .- ط٥ .- بيروت : دار القلم، ١٩٨٤م.

٧ - **تاريخ ابن ربيعة** لمحمد بن ربيعة؛ تحقيق د. عبد الله الشبل، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة، ١٤١٩هـ.

٨ - **تاريخ ابن ضويان** لإبراهيم بن محمد بن ضويان؛ تحقيق إبراهيم بن راشد الصقير ٠- ط٢، ١٤١٩هـ.

٩ - **تاريخ الطبري** لمحمد بن جرير الطبري ٠- بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ.

١٠- **تاريخ ابن عباد** لمحمد بن حمد بن عباد؛ تحقيق د. عبد الله بن يوسف الشبل، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة، ١٤١٩هـ.

١١- **تاريخ الفاخري** لمحمد بن عمر الفاخري؛ تحقيق د. عبد الله الشبل، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة، ١٤١٩هـ.

١٢- **تاريخ المنقور** لأحمد بن محمد المنقور؛ تحقيق د. عبد العزيز بن عبد الله الخويطر، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة، ١٤١٩هـ.

١٣- **تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق** لعبد الله بن محمد البسام؛ تحقيق إبراهيم الخالدي ٠- ط١ ٠- الكويت : شركة المختلف، ٢٠٠٠م.

١٤- **التعليقات والنوادر عن أبي علي هارون بن زكريا الهجري** : دراسة ومختارات لحمد الجاسر، ١٤١٣هـ.

١٥- **التنبيه والإشراف** لعلي بن الحسين المسعودي ٠- بيروت : دار مكتبة الهلال، ١٣٩٣هـ.

١٦- **تهذيب اللغة** لمحمد بن أحمد الأزهري ٠- ط١ ٠- بيروت : دار إحياء التراث، ١٤٢١هـ.

١٧- **الجوهر المنضد في طبقات متأخري أصحاب أحمد** ليوسف بن الحسن بن عبد الهادي؛ تحقيق: د.عبد الرحمن بن سليمان العثيمين ٠- ط١ ٠- الرياض : مكتبة العبيكان، ١٤٢١هـ.

١٨- **الحركة العلمية في أشيقر** لعبد الرحمن بن منصور أبا حسين٠- ط١، ١٤١٩هـ.

١٩- **الحياة العلمية في نجد** للدكتورة مي بنت عبد العزيز العيسى ٠- الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ١٤١٧هـ.

٢٠- **ديوان بن المقرب العيوني وشرحه**: تحقيق د. أحمد موسى الخطيب٠- الرياض: مؤسسة جائزة عبد العزيز بن سعود البابطين للإبداع الشعري، ٢٠٠٢م.

٢١- **رحلة ابن بطوطة** لمحمد بن عبد الله اللواتي؛ تحقيق عبد الهادي التازي، أكاديمية المملكة المغربية، ١٤١٧هـ.

٢٢- **الرحلة اليمانية** للشريف شريف بن عبد المحسن البركاتي؛ تحقيق عاتق بن غيث البلادي ٠- ط١ ٠- بيروت: دار النفائس، ١٤٢٦هـ.

٢٣- **السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة** لمحمد بن عبد الله بن حميد؛ تحقيق د. بكر بن عبد الله أبو زيد و د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين ٠- ط١ ٠- بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٦هـ.

٢٤- **سفر نامة** لناصر خسرو؛ ترجمة د. يحيى الخشاب ٠- ط٣ ٠- بيروت: دار الكتاب الجديد، ١٩٨٣م.

٢٥- **سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي** لعبد الملك بن حسين العصامي؛ تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض ٠- بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ.

٢٦- **صبح الأعشى في صناعة الإنشا** لأحمد بن علي القلقشندي؛ تحقيق عبد القادر زكار ٠- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٨١م.

٢٧- **صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار** لمحمد بن عبد الله بن بليهد ٠- ط٣، ١٣٩٩هـ.

٢٨- **صحيح البخاري** ٠- ط٣ ٠- بيروت: دار ابن كثير، ١٤٠٧هـ.

٢٩- **صحيح مسلم**؛ تحقيق فؤاد عبد الباقي ٠- بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٣٠- **صفة جزيرة العرب** لأحمد بن يعقوب الهمداني؛ تحقيق محمد بن علي الأكوع.- ط١ .- القاهرة : دار الآفاق العربية ، ١٤٢١هـ.

٣١- **صورة الأرض** لأبي القاسم بن حوقل النصيبي .- الرياض : دار مكتبة الحياة .

٣٢- **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع** لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي .- بيروت: دار مكتبة الحياة .

٣٣- **عجالة المبتدي وفضالة المنتهي في النسب** لمحمد بن موسى الحازمي .- ط٢.- القاهرة : دار الكتب المصرية، ١٣٩٣هـ .

٣٤- **عشائر الشام** لأحمد وصفي زكريا .- ط٣ .- دمشق : دار الفكر، ١٤١٧هـ.

٣٥- **عقد الدرر** لإبراهيم بن صالح بن عيسى، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة، ١٤١٩هـ.

٣٦- **علماء نجد خلال ثمانية قرون** لعبد الله بن عبد الرحمن البسام .- ط٢ .- الرياض : دار العاصمة، ١٤١٩هـ.

٣٧- **العلماء والكتاب في أشيقر خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين** لعبد الله بن بسام البسيمي.- ط١ .- جمعية أشيقر الخيرية، ١٤٢١هـ.

٣٨- **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده** للحسن بن رشيق القيرواني؛ تحقيق محمد عبد الحميد .- ط٤ .- بيروت : دار الجيل ، ١٩٧٢م.

٣٩- **عنوان المجد في تاريخ نجد** لعثمان بن عبد الله بن بشر؛ تحقيق عبد الرحمن ابن عبد اللطيف آل الشيخ.- ط٤ .- الرياض : دارة الملك عبد العزيز، ١٤٠٢هـ.

٤٠- **غاية الأماني في أخبار القطر اليماني**؛ تحقيق د. سعيد عبد الفتاح عاشور .- القاهرة : دار الكاتب العربي ، ١٣٨٨هـ.

٤١- **الفواكه العديدة في المسائل المفيدة**. أحمد بن محمد المنقور .- ط١ .- دمشق: المكتب الإسلامي، ١٣٨٠هـ.

٤٢- **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**. ابن فضل الله العمري: تحقيق دورتيا كرافولسكي -. ط١ -. بيروت: المركز الإسلامي للبحوث، ١٤٠٦هـ.

٤٣- **المسالك والممالك**. عبد الله بن عبد العزيز البكري: تحقيق د. جمال طه -. ط١ -. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ.

٤٤- **مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ**. حمد الجاسر -. الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ١٤٢٢هـ.

٤٥- **معجم بلاد القصيم**. محمد بن ناصر العبودي -. ط١ -. الرياض: دار اليمامة، ١٣٩٩هـ.

٤٦- **معجم البلدان**. ياقوت بن عبد الله الحموي -. ط٢ -. بيروت: دار صادر، ١٩٩٥م.

٤٧- **معجم اليمامة**. عبد الله بن محمد بن خميس -. ط١، ١٣٩٨هـ.

٤٨- **من أخبار القبائل في نجد**. فايز بن موسى البدراني الحربي -. ط٣ -. الرياض: دار البدراني، ١٤٢٣هـ.

٤٩- **المنازل والديار**. أسامة بن منقذ؛ تحقيق مصطفى حجازي -. القاهرة، ١٤١٥هـ.

٥٠- **نجد قبل ٢٥٠ سنة**. د. محمد بن سعد الشويعر -. الرياض: إصدارات النخيل، ١٤١٢هـ.

٥١- ولاية اليمامة: دراسة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية حتى نهاية القرن الثالث الهجري. د. صالح بن سليمان الوشمي -. الرياض: مكتبة الملك عبد العزيز، ١٤١٢هـ.

ثالثا: الدوريات:

١ - **العرب**. الحفصي وكتابه عن اليمامة. حمد الجاسر ج٨، س١، صفر، ١٣٨٧هـ، ص٦٧٣-٦٩٢.

٢ - **العرب**. وثائق الأحوال الشخصية من الناحية التاريخية. عبد العزيز المبارك، ج١، س٢، رجب، ١٣٨٧هـ، ص٥١-٥٩.

٣ - **العرب**. وثائق الأحوال الشخصية من الناحية التاريخية. عبد العزيز المبارك، ج٦، س٢، ذو الحجة، ١٣٨٧هـ: ٥٥٤-٥٦١.

٤ - **العرب** . مؤرخو نجد من أهلها لحمد الجاسر، ج٩، س٥، ١٣٩١هـ ، ص٧٨٦.

٥ - **العرب**. بنو وائل ونسب آل مدلج في كتاب ابن لعبون، ج٧، و٨، س٦١، المحرم وصفر، ١٤٠٢هـ، ص ٥٩٣-٦٠٧.

٦ - **العرب**. تاريخ عمران بعض بلدان سدير، ج٣ و ٤، س ١٣، رمضان وشوال، ١٤١٦هـ، ص ٢٧٧-٢٨٠.

٧ - **العصور**. دور علماء أشيقر في انتشار الحركة العلمية في نجد وظهور الدعوة الإصلاحية السلفية في العارض. د. عويضة متيريك الجهني ، ج٨، المحرم، ١٤١٤هـ، ص٣٩٧-٤٣٠.

٨ - **الكتاب السنوي الأول**. الأمانة العامة للمراكز والهيئات العلمية المهتمة بدراسة الخليج العربي والجزيرة العربية، ١٤٠١هـ. **دولة العيونيين في البحرين**. الشيخ عبد الله بن خالد آل خليفة، ود. علي عبد الرحمن أبا حسين، ص٤١-٧٢.

٩ - **مجلة التاريخ العربي**. الدولة الأخيضرية في اليمامة، د. فهد الدامغ، ع٣٠، ربيع ١٤٢٥هـ، ص١٩٩-٢٣٥.

١٠- **مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية**. ورقات غير منشورة من تاريخ الشيخ إبراهيم بن عيسى. د. أحمد بن عبد العزيز البسام، ع ٣٦، ١٤٢٢هـ، ص ٢٢٩-٤١٩.

١١- **مجلة الدارة**. وثيقة الكبيشية، راشد بن محمد بن عساكر، ع٢، س٣٠، ١٤٢٥هـ، ص٢٧٩-٣١٧.

١٢- **مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية**. الدولة الأخيضرية. عبد الله بن يوسف الشبل، ع٦، ١٣٩٦هـ: ٤٥٩-٤٦٦.